جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة: دكتوراه الأدب

المادة: قراءة جديدة في نص أدبي قديم

محاضرة: المناهج وتحليل النص الأدبي عند العرب

مدرس المادة: أ.د. أسماء صابر جاسم

المحاضرة: السابعة

١٤٤٥هـ **٢٠٢٤م**

المناهج وتحليل النص الأدبي عند العرب

حاول كل منهج من مناهج النقد الأدبي السابقة أن يفرض أيديولوجيته في تحليل النص الأدبي إلى الحد الذي جعل الناقد جون م. إيليس John M. Ellise، صاحب كتاب ضد التفكيك Against Deconstruction، يقول: النقاد المحدثون أقل ميلاً نحو إفساح المجال للنص كي يتحدث عن نفسه بتركيز الانتباه على توكيداته. إنهم معنيون بالأثر الذي يحدثونه هم أنفسهم بدلاً مما يحدثه النص من أثر، وذلك بإحلال أيديولوجياتهم ونظمهم المفاهيمية محل النص الأدبي؛ فهم يظهرون في الأعم الأغلب، وكأنهم يسعون إلى منافسة قراءة اللغة الأدبية بما يطلقونه من صعادات مفاهيمية مبهرة، ويعمدون إلى استعراض معارفهم

وما(الواسعة وجولاتهم الفكرية بدل استعراض مهارة النص الأدبي ذاته ، حدث في تحليل النص الأدبي في الغرب، حدث ما يضارعه عند العرب تقريبا، وإن كانت الصعوبة التي واجهت النقاد العرب أكبر منها عند أصحاب تلك الأيديولوجيات؛ لأنهم بحاجة إلى تبيئة المناهج، وتطويع مفاهيمها؛ لتناسب النص الذي نشأ في مجتمع لم تسد فيه الفلسفات نفسها التي أفرزت المناهج. وهنا، تنبغي الإشارة إلى أن التبيئة والتطويع اقتضيا تطويرا للمناهج الغربية، وفي كثير من الأحيان، اقتضيا محاولة التأصيل لها. وقد أشار أكثر من ناقد إلى أن منهجه في تحليل النص ليس ببغائيا؛ بمعنى ترديد ما لدى الغرب وحده (١٩٩)

في النظرة إلى النص من الخارج، يبدو التأثر بالمناهج الأجنبية واضحا، وكذلك تبدو محاولة التبيئة لها؛ فالتأثر عند عباس محمود العقاد، على سبيل المثال، نجده في توظيف أفكار من المنهج النفسي في دراسته لشخصية أبي نواس، لينتهي إلى القول بأنه نرجسي ونجده في دراسته لابن الرومي يوظف أفكارًا من المنهج التاريخي

كالعرق والبيئة ونجد توظيفا لأفكار المنهج النفسي في دراسة محمد النويهي لشخصية بشار بن برد، ونفسية أبي نواس، على الرغم من تأكيده أنه لم يكن أسيرًا لرؤى فرويد، بل تخير منهجه من شتى الفلسفات النفسية الأخرى وتظهر أفكار المنهج التاريخي، في كتابات طه حسين وبخاصة المبكرة منها؛ فهو يحدد منهجه بأنه نابع من منطق تاريخي أدبي، ليس فيه حكم إلا وهو يستند إلى مصدر، ولا نتيجة إلا وهي تعتمد على مقدمة ؛ ليصير النص مرآة تعكس البيئة التي عاش فيها منتجه، أما خروج النص عن كونه مرآة، فيعني وضعه على محك التشكيك بنسبة انتمائه إلى تلك البيئة وقد تضمنت أفكار المنهج الاجتماعي دراسات عبد المحسن طه بدر

للرواية، فركزت على الواقعية الاجتماعية، والالتزام بمنطلقات المجتمع الفكرية؛ ذلك أن النص تصوير للحياة التي يعيش فيها منتجه حيث يعبر فيه عن إحساسه تجاه الواقع بتلقائية بعيدة عن التجريد والدعاية المباشرة . وعزز وجود تلك الأفكار في تناول الناقد للنص، سيادة فلسفات عالمية مؤدلجة كالواقعية الاشتراكية آنذاك. وعن تبيئة المناهج، نجد أحمد ضيف على سبيل المثال، يسجل إعجابه بالأفكار التي طرحها برونتير حول نشوء وارتقاء الأنواع الأدبية متأثرا دارون، ليدعو إلى تطبيق منهجه على البلاغة العربية، فيسميه بما يناسب ثقافتنا مذهب التدرج والانتقال، وفيه تنقسم الأنواع الأدبية إلى فصائل، كما هو الحال في علم النبات والحيوان . وإذا تم بناء هذا المذهب، كما يرى، سيكون من أعظم مذاهب النقد التي تساعد على دراسة تاريخ البلاغة، وكشف غبا الكلام، وترتيب وتبويب ضروب الكتابات، وجعلها خاضعة لقوانين عامة، كما تخضع الأنواع الحية والمسائل العلمية لها (٢٠٦) ، وفي الوقت نفسه، نجده يحافظ على عناصر المنهج التاريخي الرئيسة البيئة، والزمن، والعرق. وكذا يفعل أمين الخولي، أيضا؛ إذ نجده يخرج عن تسمية المنهج التاريخي إلى الإقليمي

بوصفه قضية العلم في تاريخ الأدب، وتعبيرا عن تميز الأدب المصري من الأدب في الأقطار العربية إضافة إلى الحفاظ على عناصر المنهج التاريخي السابقة.

وسعى نقاد آخرون إلى التأصيل والتحديث في تناول النص الأدبي من خلال مستويات متعددة أهمها النظرية والمنهجية والمعيارية، والمصطلحية إلى الحد الذي تتداخل فيه المناهج معا، إضافة إلى حضور لافت للتراث النقدي العربي، ما يجعل تحديد المنهج الغالب صعبًا؛ إذ نجد عز الدين إسماعيل، يكتب عن الأسس الجمالية في النقد العربي القديم، والتي منها: الأساس التاريخي، والاجتماعي، والنفسي، ويتحدث عن قضايا الإنسان في الأدب المسرحي، ويؤصل في كتابته عن الشعر العربي المعاصر، ويكتب عن التفسير النفسي للأدب. وكذا يفعل شكري عياد حين يكتب عن الأسلوبية، وعن الإبداع واللحظة الجمالية، وعملية تلقي النص. وكذا يفعل مصطفى ناصف حين يكتب عن الصورة الأدبية في الشعر العربي، والمعنى في النقد القديم، ويتحرى جماليات اللغة في تناول النص الشعري. إن التأصيل للمناهج النقدية الحديثة، وفي الوقت نفسه، تطبيق مناهج نقدية مختلفة ومتداخلة، تجعل السؤال الصعب: ما المنهج الغالب ؟ مطروحًا في كل تطبيق لهم على النصوص. ومهما يكن من أمر، يمكن القول مبدئيا: إن المنهج الغالب لدى عز الدين إسماعيل هو النفسي على الرغم من تطبيقاته الجمالية، ولدى شكري عياد هو الأسلوبي، ولدى مصطفى ناصف هو الجمالي.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن هؤلاء المؤصلين اتخذوا من المناهج التي تنظر إلى النص من الخارج معبرا للنظر إليه من الداخل، كما يبدو جليا لدى الناقدين الجماليين: مصطفى ناصف ولطفي عبد البديع. واللافت للنظر أن تلاميذ هؤلاء النقاد، وسعوا رقعة تحليل النص الشعري إلى الحد الذي يمكن القول فيه: إن النص تماهى مع الأفكار التي يطرحها هؤلاء، فصار من الصعب إثبات أنه سيق شاهدا على تلك الأفكار، كما هو الحال لدى

إبراهيم السنجلاوي الذي تتلمذ على يدي لطفي عبد البديع في أطروحة الماجستير الحب والموت في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي، هذا من ناحية أولى. وبنى آخرون على جزئيات من تلك المناهج تحليل النص، منها المصطلحان النماذج العليا اللذان Collective Unconsiousness واللاشعور الجمعي Archetypes، طرحهما كارك يونغ

فولوا وجوههم شطر التفسير الأسطوري لشعر ما قبل الإسلام بخاصة، ومن هؤلاء: أحمد كمال زكي، وإبراهيم عبد الرحمن وعادل البياتي، ونصرت عبد الرحمن وعلي البطل. ونجد اعتمادًا أقوى على التحليل النصي من الداخل، أيضا عند تلاميذ هؤلاء، كما هو الحال لدى ثناء أنس الوجود التي تتلمذت على يدي إبراهيم عبد الرحمن في أطروحة الماجستير الماء في الشعر الجاهلي على الرغم من تسمية منهجها بـ التكاملي، ولدى إبراهيم محمد علي الذي تتلمذ على يدي علي البطل في أطروحة الماجستير اللون في الشعر العربي قبل الإسلام قراءة ميثولوجية ، هذا من ناحية أخرى.